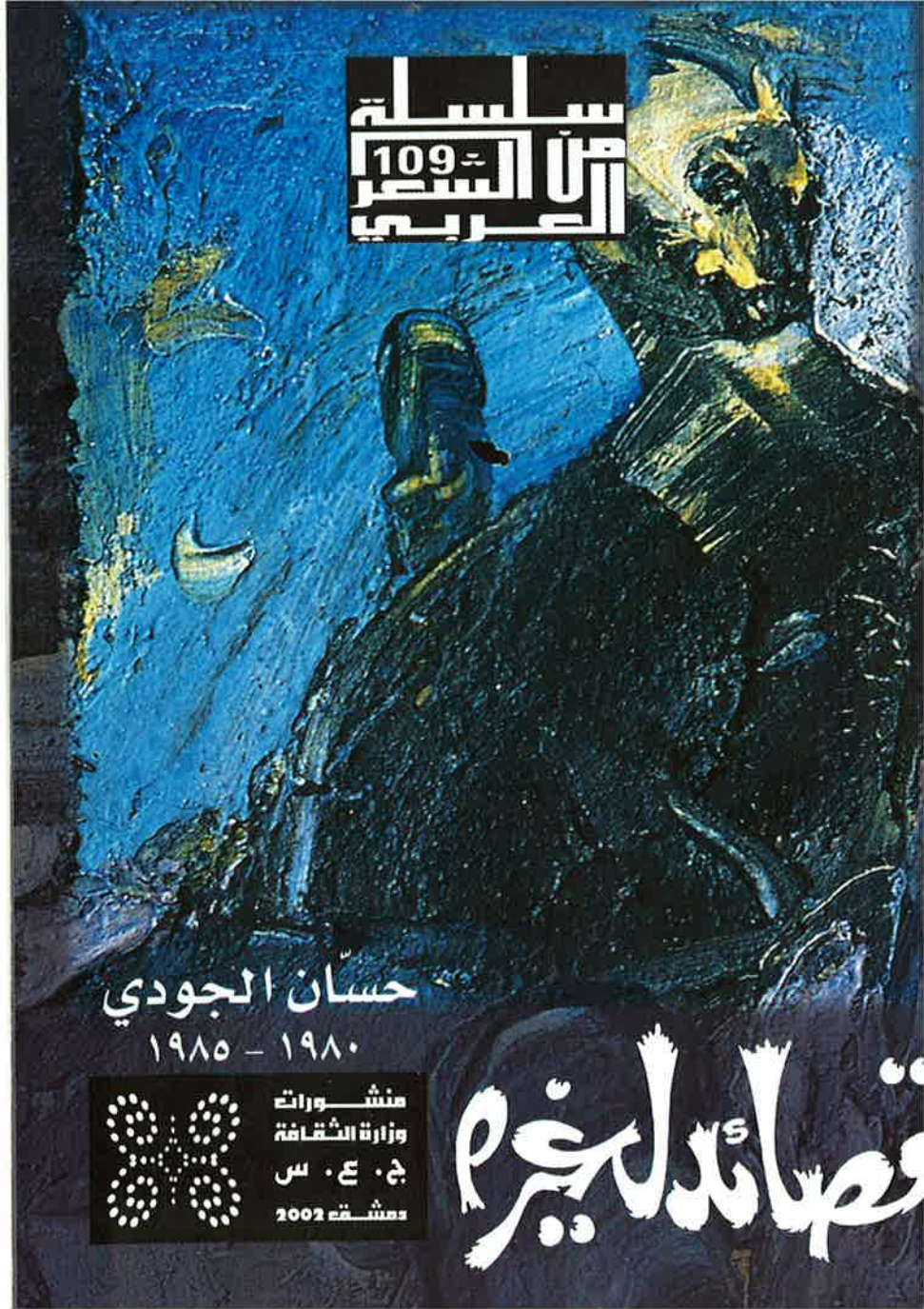
سلسلة من الشعر العربي
109
حسّان الجودي
١٩٨٠ - ١٩٨٥
قصائد لغزة
منشورات وزارة الثقافة
ج. ع. س
دمشق 2002

حسان الجوديّ

قصائد لغيره

(١٩٨٠ - ١٩٨٥)

شعر

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠٢

من الشعر العربي

«١٠٩»

أيَّتُها السَّنةُ الجَديدة، أيُّها الاحتفالُ الملكي

سقَط الضّوءُ فوق يديكِ

مراكبَ من زبدٍ

تعبرُ الليل نحو التقاء العقاربِ

تختزن الشّمعَ في جوفها

وتكوّن مملكةً في زحام القناديلِ حول الشّجرْ

اعتلاها حنيني وأنجزَ وعداً

تبنّاه منذُ اشتعال القصائد فيهِ

وراحَ يقضقضُ أعمدةَ الزَّمن المتكلّس

هلْ كانَ في رِحلةٍ يستعيد توازنَهُ

أم رماهُ النَّبيذُ إلى تلعةٍ

في فضاءٍ بعيدٍ، تجوسُ الطّيورُ الضَّريرةُ بين كواكبهِ

وتمدّ أصابعَها في البخارِ الثّقيلِ إلى وجههِ

فيرى ما رأته على كوكبٍ آفلٍ

استدارَ قليلاً، ولملمَ عنه الخَدَرْ

أم رمى ساحرُ الاحتفالاتِ فوق يديهِ العصا

فرأى السَّمكَ المتواثبَ بين ضفافِ النّساءِ

اللّواتي اغتسلْنَ برائحة اللَّوزِ

علَّقنَ قرطَ الحواس على جيدهنَّ

وسرنَ على شاطئٍ بانتظارِ العقاربِ معلنةً

هجرةَ الطَّائرِ الزّمنيّ إلى أرخبيلٍ من العِطْرِ

يدفعهُ صخبُ المحتفينَ:

سماسرةُ اللَّحظاتِ

سلاطنةُ المالِ

كوكبةُ الواقفين على شرفةٍ في فضاء : دمٍ وحَجَرْ

تدخلُ السّنةُ الآنَ من كوّةٍ في جدار قديمٍ

وراءَ الجدار بحارٌ من الزئبق المتخثّر

فوقَ المياهِ جيادٌ، تخبّ محمّلَةً بعتادِ الحروبِ

وخلفَ الجياد مراكبُ من ذهبٍ

البريقُ يطوف بأبخرة السَّمكِ الميْتِ بين الصَّهيلِ

وفوق المراكب متّسَعٌ للعبيد

العبيدُ تسوط الجيادَ، وتبني القلاعَ

وتكتبُ فوقَ جدارِ القبيلة أشعارَها

العبيدُ تبارك مُلْكًا، وترضى بما وهبَتْها السّجونُ

تؤلّفُ مملكَةً من عظامٍ

وعائلةً من رمادٍ

وأعناقُها في المراكبِ مغلولةٌ
المراكبُ يدفعُها ثملٌ اشترى السَّنةَ القادمةْ

ليس لي أن أقايضَ خبزَ المساء الشَّهيّ بحزْني
ولا خمرةَ المحتفين بخوفي
ولا رهَجَ الاحتفال بإشراقةٍ
أوقعتْني بحال التَّلاشي
فأدركتُ كينونةَ النّور بين عروقي
وسرتُ إلى بؤرة الكشفِ
في رعَشَات الدّوار الخفيْ:
في الزَّمن الأولِ: شجرٌ يجري
يتوضّعُ في صحراءَ
يجيءُ النّهرُ، يطوّقُ خصر الشّجر الغضِّ
ويكتبُ أسرار الثّمر القادم.

جسدٌ يطلعُ من صلصالٍ أزليٍّ

يكبرُ حتّى يصبحَ طفلاً

يبني الطّفلُ حدائقَهُ قربَ النّهرِ

يعمّرُ كوخًا تحت سطوح الثّمر النّاضج

يزرعُ في الحقل القمح الموروثَ من الأجدادِ

ويبني قريتَه الأولى.

في الزّمن الثّاني:

جاء الأطفالُ على فرسٍ عجفاءَ،

تداولَها الجوعُ

فصار الطّفل أميراً

سوّرَ قريتَهُ بالظّلمْ.

في الزّمن الثّالث: جاء التّجّارُ،

الخُدّام، النّصّابون، العلماءُ

فكانت مملكةٌ

كانت بريَّةُ أحلامٍ شاسعةٌ

وتلالٌ من ماسٍ

آفاقٌ تسعى فيها الغيلانُ

وتأكل من ثدي الأشجارِ

وتنجب آلاتٍ ومعاملَ

ما زالتْ تتقيأُ آلافَ الأمراءْ.

في الزَّمن الرّابع:

قصرٌ يسترخي فوق وساداتِ المخمل

عطرٌ همجيّ تَذْروه الأنفاسُ

نساءٌ تسعى في عَرَباتِ الخمر

أميرٌ ثملٌ

زَمنٌ يلفظُ أنفاس السَّنة الموؤدة

تأتي السَّنةُ الأخرى

يصحو السَّكران على شهقاتِ المحتفلينْ.

انتهى عرسُهم

انتهى دمهُم من شراينهم

انطفا ليلُهم

حفّ زيتُ مواجعنا من مصابيحهم

واستفاق الصبّاح على جثّتي

نهشتها المخالبُ، والتهمتها الشفّاه

الّتي في المساءِ استدارتْ لتأخذَ شكلَ القرنفلِ

هل كان من جسدي مطلعُ النّارِ؟

أم كنت قبل اشتعالي رماداً؟

سألتُكَ يا باذخَ العَطْفِ

يا سيّد القلبِ

يا كائني الفوضويّ المرقّش بالدَّمِ

والحزنِ والنَّارِ والأبجديَّاتِ

واللَّحظاتِ الجميلةِ من كل شيءٍ

سألتُكَ يا شعرُ عنِّي

وعن لوباني وراءَ زمانٍ يجيءُ إذا الضوَّء جاءَ

ويفرش أمواجَهُ في البلادِ

يكاثرُ نَسْلَ المواعيدِ

ثمّ يعودُ إلى خاتمٍ في يدٍ لا تُطالُ

فلا يتآكَلُ في الظّلماتِ

ولا يُستباحُ كراهيةً في احتفالِ:

الشّموعِ -الخمورِ -النّساءِ

سألتُكَ يا شعرُ عن لغتي

جسدٌ صاهلٌ أم كَفَنْ؟

عن يدي

هل عَلَيْها التّمدّدُ قرب الجنودِ

على ساحلٍ في ثغورِ الوطنْ؟

أم عليها التَّسلُّل بين الشُّجيراتِ

في مهرجان الظّلالِ

لتطفئ جمرَ الزّمنْ؟

لغةٌ: جسدٌ أمْ كفنْ؟

لغةٌ: وطنٌ أمْ زمنْ؟

* * *

مَشَاهد من قيامةِ الرّوح

أخرجتْ غيمةُ الفجر سيقانها

فتدلّت عليها العناكبُ والنّملُ

وارتفع الشّجر الميْتُ نحو السّماءِ

تعالى صراخ الحجارةِ

وانتفض النّهرُ

أصبحتِ الأرضُ تفّاحةً

حَجْمُها الخوفُ، تأكلُ منها الطّيورُ

تبلّ مناقيرَها بالدّم الجافِّ

ثمّ تموتُ على هضبَات الغبارْ.

من ترَى نفخ الصّورَ فيك بغير أوانٍ؟

تساءل قطّ سجينٌ وراء ضلُوعي

ولكنّني لم أجب

كنت أقرأ ما كتبتْ في دفاترها الخضرِ

زيتونةُ القريةِ البائدةْ:

كيف أبتدئُ اللّغةَ المقبلةْ؟

كيف أخرجُ من حالة الصّمتِ

والأمس ينشر حولي سحابته؟

يا حكايةَ روحي تعالي

خطا مطرٍ غاضبٍ

واخرجي من ركود اللّغاتْ

أيقظي الريّح بين التّلالِ
وآلهةَ النّار في كل أرض موات
أنتِ في داخلي جسدٌ
فاستحمّي بشمس الصبّاح الأخيرِ
لأعبرَ فيك فضاءَ الحقيقةِ
واقتربي لغةً في أقاليمها الشّاعريّةِ
مملكةٌ: بابُها الكونُ
أسوارُها رغبةُ الروّح أنْ تستشفَّ الأزلْ.

هذه القريةُ امرأةٌ هرِمَةْ
تحت آباطها غابةٌ من ثمار الخصوبة لكنّها

تأكلُ الثّمر المتدلّي من الحلمِ

شهوتُها أن تنام على بطنها

ثمّ تُدخِلَ سيقانَها تحت أغطية الجنسِ

سيّدُها ساحرٌ خلف خنجره

خنجرِ القوّةِ الأزليَّةِ: مالٌ وعقلٌ وحاشيةٌ حاكمةْ

هذه القريةُ امرأةٌ ظالمةْ

خنقتْ طفلها حين أنكَرَها

ومخلِّصَها حين أثقَلَ ميزانَها بالرُّؤى القادمةْ.

مرّةً نمتُ حالمةً في رداء الثّمرْ

هبّتِ الرّيحُ في اللّيلِ

واسّاقطتْ كُتَلُ الرّيح فوقي

فخافت طيوري وطارَتْ

تتخلّجُ فوق سرير المطرْ

انكفأتُ على البردِ

لملمتُ نفسي، ورحتُ أدقّئُ قلبي بجمر التّساؤلِ:

أيّ إلهٍ يخلخلُ ناموسه الأزليَّ

كما فعل الرّبُّ في القريةِ،

النّسوةُ الآن لا تلدُ،

النّسوةُ الآن تهرمُ ثمّ تموتُ

وجوعُ الرّجالِ يخبّئ حنطتَهُ

بانتظار نضوج الصغار

وفي مرة

كانت الفتيات الصّغيراتُ

يلعبْنَ بالثّمر المتساقطِ من جسدي

فاختفين كما تختفي ومضةٌ

هل تُراها السّماءُ تمارس حكمتَها في جنون الطّبيعةِ؟

أم أنّ هذا الجنون يمارس حكمَته؟

جاءني طائرٌ أخضرُ اللّونِ

كان غريبًا صغيراً

على مقلتيه غبارٌ

وفي شفتيه هشاشةُ جوعٍ

غفا في وسائدِ عَطْفي

فغطّيتُه بالحنانِ

وأطعمتُه ثمرَ القلب، صرنا صديقينِ

نشرب نسغ المحبّةِ

نلبسُ ثوبَ التّوحّدِ

نسهرُ في حُجْرة المعرفةْ

كبُرَ الطّيرُ، سلّمني سرَّ مملكةِ الطَّير

قبّلني . . . واختفى حين إطراقتي الرَّاجفةْ.

في ظهيرةِ ثلجٍ تنضدَ فوق الحقول

رقائقَ صمتٍ كثيفٍ

وحين نفضتُ حُبَيْبَاتِه عن كُوى جسدي

واشتعلتُ بوقْدَةِ ذاتي

سمعتُ دُعاءً بعيداً . . . قريباً

يسافرُ عبر السّكينةِ

(يا أيُّها الوالدُ المجتبى

أيُّها السّاحرُ المتسلّقُ سورَ السّماءِ بترتيلة خاشعة

ارفع السّحر عنا، ترفق بشعبك يا سيد القرية الجائعة)

(قادمٌ

لكمُ الخيرُ من قدمي فاتبعوني

فهذي يدي تمنحُ الزّيتَ جوهرَهُ في الجرارِ

وتمنحُ خمرتَكُمْ سرَّها

وشفاهي تتمتمُ من أجلكم

منذ يوم الصّعود إلى جبل النّارِ

كي نشعلَ النّارَ في جسد الميّتينَ

وروحي تخاطبُ آلهتي كلَّ ليلٍ

فهلاّ سمعتمْ زمازمها في دعائي

وآلامَها في بكائي؟

غداً حين ينتصفُ اللّيلُ نغمرُ بالدّم معبدَها

ثمّ تنتظرون رجائي).

ابتسمتُ بسخريةٍ مرةٍ

كنتُ أُدركُ أنّ دعاء العجائزِ

مرتهنٌ بالهدايا :

خمورٌ وزيتٌ وقمحٌ

وفي حالة الشدّةِ امرأةٌ تُشْتَهى

كنتُ أُدركُ أنّ يد الوالد المجْتَبى

في يدِ الأغنياءِ

ودعوتَهُ لا تُجابُ إذا

لم توافقْ هوى الأقوياءِ

وأنَّ الغد المرتجى

سيكون رحى تطحنُ القمحَ في جسد الضّعفاءِ .

لم يزلْ عنكبوتُ العطالةِ

ينسجُ فوقَ جدارِ السّكينة خيطانَهُ

لم يزلْ عقربُ القحطِ

ينهشُ أقدامَ فصلٍ

تحاول أن تدفن الزّمنَ الهشَّ في خضرتي

كنتُ منهكةً لم أنمْ

منذ زادَ البلاءُ على قريتي

منذُ صارتْ نُجُوم السّماءِ

جلاميدَ ملحٍ تُكسّرُ نافذةَ الأفْقِ

تهوي على النّاسِ مثلَ الحجارةِ

يأكلها الطّير من جوعهِ فيموتْ.

الجداولُ من عطشٍ فتموتْ.

كنتُ منهكةً في انتظار الخلاصِ

وكانت حشودُ العجائزِ

تنتظر السّاحر المتوسّدَ جمجمةَ الموتِ في عرشه

أشعلُوا النّارَ قربي

فأنَّتْ قشوري

منَ اللَّهب المتصاعدِ. كادتْ تويجاتُ روحي تموتُ

فأقفلتُ بابَ اخضراري

وأطْلقتُ دود انتباهي يغلغلُ في جسدي

كان صوتُ الجموع يجيء حزيناً

وصوت النّفوس المريضةِ يخرج منتصراً:

القرابينُ ما تبتغيه السّماءُ

لتنقذكم من شرورِ غريبٍ

تسلّلَ بين أصابعكم كالغبارِ

وداسَ على ضوئكم بالخطى المظلمةْ

الغريبُ الّذي لعنته السّماءْ

الغريبُ الّذي امتزجت روحُه

بشياطين زيتونةٍ آثمةْ

اقطَعُوا هذه الشّجْرةَ الآثمةْ

اقطعوها لترضى السّماءْ

اقطعوها لترضى السّماءْ.

رجموني بأحجار قسوتهم

فارتديتُ ثماري وأعلنتُ خصبي لهم

قطعُوني من الجذعِ

فاستندتْ قامتي لهواءِ محبَّتهم

أشعلوا النَّارَ بين ضلُوعي

تَهاويتُ جمرًا

أتى الطَّائرُ الأخضرُ اللَّونِ من غابة السّمواتِ

وجاءت طيورُ العذابِ

من الامتداد السَّحيق . ولَمَّتْ

جثّتي جمرةً . . . جمرةً

ورمتْها على قريتي

اختلجْتُ صرختُ بأقْصى الفجيعةِ : لا . . . لا

وصرتُ رماداً

تؤسّسُ فيَّ الطّيورُ ممالكها .

* * *

من مُشاهدات القتيل -ح-

٢٧/ ١١/ ١٩٨٤

يسقط الزّنبقُ فوق الجسد البارد

أصواتُ التّراتيل طيورٌ

تتهادى في مناديل السّوادْ

الهواءُ اللّزجُ السّاخنُ يُجري

في ممرّ القبرِ، والرّوحُ على الوردِ مسجّاةٌ

يطوف الطّينُ حول الكفنِ البارد

والجثّةُ لحمٌ ودماءٌ تتخثّرْ

أيّها اللّحمُ تفتَّتْ

أيّها الدُّود تكاثَرْ

كلُّ ما في داخلي الأخضر نسرٌ

مات قبل الموت في عُشّ البلادْ.

١٩٨٤/١١/٢٨

كائنُ الرّوح الّذي رافقني قبل اغتيالي

مرّةً يأتي من الشّبّاك نحلاً

وعلى جنحيه تابوتٌ صغيرٌ

لإله الكلماتِ الذّهبيّ

مرّةً يدخلُ من باب التّراتيل ملاكًا

ويغنّي لي أغاني رحلةِ الموتِ

وأحيانًا أرى قارورةَ الخُلْدِ على راحتهِ

يدْفعها عبرَ الممَّراتِ إلى قلبي

يراه الحارسُ اللَّيلي ُّينسلُّ

فيشويه على صدري المغطَّى بالحنانِ البشريّ

كائنُ الروّح الّذي رافقني بعد اغتيالي

طارَ من نافذةِ الحُجْرة نحو النَّهر

ألقى بوصايا الحارسِ اللَّيليِّ في الماءِ

وألقى بوصاياه عليَّ

هربَ الحارسُ لم يبق سوى الصَّمتِ

فماذا يفعلُ الموتى قبيل النَّومِ؟

غطّيتُ عيوني بغصون الآسِ

حتّى جاءني النَّومُ

على أفراسه الخُضْرِ

فتابعْتُ الصَّهيلَ الأزليّ. . .

١٥/ ١٢/ ١٩٨٤

حين جاء الدّود نَحوي

كانت البريّةُ: الكونَ

سألتُ الدّودَ من أين أتى؟ قالَ:

منَ الكون الذي في شفَتيكْ

حينها كسّرتُ أحجاري الّتي تحت لساني.

حين جاء الدّود نحوي

كانت البريّةُ: القبرَ

سألتُ الدّودَ من أين أتى؟

قالَ: من الطّين الّذي حول يديكْ

حينها حاولتُ أن آكلَ ذاتي فرآني.

١٩٨٤/١٢/٢٧

كان من عادته أن يَسهرَ اللَّيل معي

أفتحُ قبري فأرى عينيه قنديلاً يضيءْ

أرفعُ الأشجارَ من قلبي إليهِ

يَتدلّى حَاملاً بعض المجلاَّت

وبعضَ الخبز، بعضَ الماء، والخمرِ الرَّديءْ

كان من عادتنا أن نشرب الخمر،

ولا نقرأ إلاَّ خطبةً

سوف يُلقيها غداً في أربعيني

كان من عادته قبل انصرافي عنه أنْ

يملأ القبرَ دموعًا

ثمّ لا يصعدُ إلا بعد غفراني له قتلي الدَّنيءْ

(قاتلي طينٌ مسجّى في ظلام القبر مثلي

كيف لا أغفرُ للقاتل قتلي؟

٥/ ٦/ ١٩٨٧

مرّةً بعد صلاتي لدمي المطلولِ

قاومتُ نُعاسي

وتطلّعْتُ إلى الطّين فشاهدتُ التّوابيتَ تُكسَّرْ

قمتُ من قبري وأسرعتُ إليها

فرأيتُ الدَّمَ يَنسابُ من الأكفانِ

والقاتلَ بالأشلاء يلهو

عندما شاهدني أقبلَ نحوي

نافثًا من فمهِ غيمَ احتفالاتٍ

ومن عينيه ماءَ النَّدمِ الكاذبِ

سمّاني وصيّـًا

ثمّ غطّاني بخوفي

حينها أعلنتُ عصياني

وكسّرْتُ على قامتِهِ سطحَ الولاويل فأدبَرْ

٦/ ٥/ ٢٠٠٠

مرهقٌ قلبي من التَّرتيل

والأشعارِ والمدح وتعدَاد السَّجايا

من بُكاء النّاس حول القبر

من شيخٍ عجوزٍ جاء في حلّته المشرقةِ اللَّونِ

ليدعو لي بغفران الخطايا

مرهقٌ قلبي من التَّفكير بالكيمياء والموتى

بأسبابِ انحلال الجسم في الطّين البدائيِّ

منَ الأحماضِ في أنبوبة الأرضِ

من الفحم، وشكلِ الكائنات اللَّولبيّةْ

مرهقٌ من ترَّهات الرّيحِ

من همس الشّجيراتِ

من التَّحديق في نهر الدَّم الجاري

إلى أقنية القبر

ومن فَلْقِ الرّؤوس البشريّةْ

من سماعِ الطّين يهذي في الأقاليمِ

من الدّود المغطّى بالعباءاتِ

من الشّعر الّذي خبّأ في قبّعتي آخرَ شطرٍ

فرماها الحارسُ اللّيليُّ للرّيح الغبيّةْ.

١٥/ ٢/ والعام مجهول

قبل أن يُنْفَخَ في الصّور فأحيا

قبل أن تتّكئَ الرّوحُ على جسمي

فتكسوُ القبرَ لحماً آدميًّا

قبل أن تبتدئ الرّحلةُ نحو العالم الثاني

تشبَّعْتُ بماءِ الحُلم الفاترِ كالقطْنِ

وأخرجْتُ يدياً

منْ رخام القبرِ للبريّةِ الملأى نساءً

فترحمّن عليَّا

صار جسمي سائلاً أخضرَ يغلي

فأتاني الحارسُ اللَّيليُّ

والدّودُ وبعضُ الجثث السّودِ

ومصُّوا سائلي الأخضرَ

قاومتُ فألفيت وحوش الأرض تقعي فوق قلبي

إنّني أصرخُ بالقاتلِ لن أغفر قتلي

إنّني أصرخُ بالقاتل ما جدوى احتراقي

أيُّها السَّائلُ اخرجْ من تلافيفي إليه

غَطّ ساقيه وكفّيه وعينيه وخرّبْ

في خلاياه مساحاتِ الطُّمأنينةِ

رتّلْ سورةَ القتل على مسمعهِ:

قلْ باسم من آوى العصافيرَ إلى الخُضْرة

والسكّينَ والموتى إلى التّربةِ

أُؤْويكَ إلى القتلِ شقيًّا

* * *

عنها سيرة ذاتيّة

توأمي يطعنني، نافذةُ الخنجر مرآةٌ تراني

أفتحُ السّاقين بالدمّ وأسقي توأمي

توأمي يقتلني، إيماءةُ الخنجر نارٌ

أعْصرُ النّار وأسقي توأمي

توأمي يقرأ فوقي سورةَ الغيم ليندى مأتمي

توأمي أوّلُ ما أذكره

حين تعَرّيتُ أمام الشّمس

لقّحتُ التّرابَ الميتَ من ثديي وأصغيتُ

سمعتُ الرّعَشاتِ البكرَ في قلبي

وروحي تَهَبُ الشّمسَ نذورَ الخوفِ

لم أدركْ حدود النّذْرِ

لم أحفَلْ بما داخلني حين غشيتُ

كان يستيقظ في بطني بطيئًا

طالعًا من رحمي المغلقِ حادًّا ومضيئًا

فصرختُ

توأمي أوّلُ ما أذكره حين صرختُ.

حاولي أن تذكريني

سوّرَ الأحجارَ حولي

فرآني أزرعُ الأشجار في كفّي

فسمّاني ربيعًا

حاولي أن تُطعميني

سرق الحنطة من بيدر قلبي

فرآني أحصد الأثمارَ من دورةِ إخصابي

فسمّاني حقولاً

وإلى أعضائه شدَّ وثاقي .

آه منْ حريّتي الأولى : مذاقُ النّعنع البرّيّ

وخزُ العشق آهاتُ القبابِ

شهوةُ الأرباب، أسماءُ الولادات وقدّاسُ العذابِ

وإذًا هذا انتباهي ورمادي

حليةٌ بارقةٌ فوق غلالات سوادي

وإذًا هذا نشيجي وغنائي

رجْعُ صوت في احتفالات البلادِ .

ذكَرٌ غيبوبةٌ هجّمَةُ عطرٍ

ساحلٌ ترفدُهُ الأمطارُ

أجراسٌ، جموعٌ وتراتيلُ بعيدَهْ

ما الّذي أيقظ شعبي من طمأنينة عرسي؟
ما الّذي فضَّ النَّدى عن خطوة الأزهارِ
في هذي الصَّباحات الوليدهْ؟
جسدٌ سارَ إلى المرآة، ضوءٌ خافتٌ
ربٌّ تراءى لي من الحُجْرَةِ
ناداني إلى رعشتِه، قاومتُ
خبّأتُ نُشيجي في خلايا الذَّكرِ القابع قربي
ارتقى ذروة جسمي حاملاً سلَّمه الجنسيَّ
أعلنتُ له الطّاعةَ والخصبَ
فأعطاني قيودَهْ.

أطلقَ الثَّورَ
لبستُ الزَّرَدَ السَّاخنَ فوق الجسد العاري
وخاطبتُ جموعي

ملكٌ من سار فوق النّارِ، والنّارُ صليلٌ في الضّلوعِ

ملَكٌ من قامَ للموت وفي عينيه وشْمُ الجوعِ

كانَتْ عرباتُ الجند خلفي

والّذي راودني عن جسدي

كان على فوّهة الغيم ينادي

أطفأ الثّورُ شعاعاتي

علَوْتُ الرّيحَ بالبرق فلم أبلغْ سطوحَ القوّةِ العليا

أمامي كان دمُّ المرأة الأولى

وخلفي صرَخاتُ الذكر العاري الثّقيلهْ.

دون أن أبكي رأيتُ الدّمعَ يَساقطُ

من نافذة القلب إلى السّهل

رفعتُ الماء من روحي سقيت الشّجرَ المزروع

في قعر أغانيَّ الحزينهْ

دون أن أرجفَ أمسكتُ طيورَ القلقِ النّاريِّ
عضّتني وطارَتْ نحو كفّيهِ
وفي اللّيل الّذي شاهدني أدخلُ نورانيّةَ الأشياءِ
أدركتُ بأني تحت فكّيه سجينَهْ
كان يأتيني وفي جعبته صيدٌ يسيرٌ
متعبًا يطرقُ بابي جائعًا، تقفزُ غدرانُ غنائي
أيّها الجائعُ لا زادَ لدينا
هَل ترى كيف يضيءُ القمحُ في السَّهْل لأجلي؟
هل ترى كيف تناديني البيادرْ؟

امتطاني قوّسَ السّوطَ على ساقيَّ
ثم اقتربتْ منّي لسيناتُ التّكاثرْ

ليس لي طفلٌ ليحميني من العزلةِ

يا ليل الشتّاءات تماديتَ

فهل تتّقدُ اللّحظةُ في قوقعة الحاضرِ؟

يا ريحُ احمليني

أيّها البرقُ تغلغلْ في جذوري .

ليس لي طفلٌ ليحميني

ولا وقتَ من الرّيحان منه

أتدلّى نابضًا يثقبُ أبهاء الزّغاريدِ

سلامًا أيّها الرّاكضُ يا أبيضُ يا باسلُ يا وعدَ الطفولَهْ

* * *

مقاطعُ من كتابِ الموتى

يوم الموت

أقفلَ الوقتُ حانوتَهُ

انطفأَتْ شمعةُ اللّيل في كوّة البردِ

واشتعلَتْ جمرة الحزْن تحت الرّمادْ

كانت الرّيح تكتبُ مزمورها في الظّلامِ

وكانت تلملمُ من قاعةِ الرّوح آخرَ كأسٍ

وناقوسُها الشتويُّ

يرنّ وراء قباب السّوادْ

كان حزني القديمُ يسافرُ كالزّئبق الحارّ

بين خلايا النّعاس

و(أوزْريسُ) كان معي

يمنحُ الجثّةَ المستكينةَ أسراره

جثّة الملكِ الميْتِ منذُ حصاد الأرزّ

لتُحْمَلَ عندَ قدوم الصبَّاحِ

إلى القبر عبرَ البلادْ

أوشكَ الفجرُ أن يستبيحَ هدوئي

وأوشَك قطّي المقدَّسُ أن يستفيقَ

حَملتُ ردائي،

وغافلتُ (أوزْريس) حارسَ موتى الملوك

دخلتُ إلى كوخ (حوري) الّذي مات في الحقلِ أمسِ

وأشعلتُ من أجله

شمعةَ الزَّمن المستعادْ

سلّمتني الحقولُ دفاترَ أسرارها

زعفرانَ الحنوطِ، وبُرْدى الكتابةِ،
رائحةَ اللَّيل والاحتضارْ
كلّ ما في قباب المنازل لي:
مفرداتُ البكاءِ، نشيجُ الضَّراعاتِ،
خابيةُ الفقر، همهمةُ الانكسارْ
فأنا طائرٌ في فضاء الخلودْ
يمنحُ الجسدَ الميْتَ تحت غيوم الوجودْ
نجمة الانتصار

يوم الدَّفن

كان (رَعُ) يحلّقُ فوق السَّفينةِ
كان الهواء ثقيلاً
وأرواحُ موتى الشّتاء ترفرفُ
كالطّير فوق التَّوابيتِ

كنتُ مُندّى برائحة الصَّندل الملكيِّ

مندّى بصوت المجاذيفِ وهْوَ يعكّر صمتَ المياهِ

مُندّى بصوت اللّقالقِ

وهْو يجيءُ من اللّحظة الباردَهْ

نهضَ الضّوءُ من قبّةِ الماءِ

حركَ أجراسَهُ

فارْتديتُ قناعي،

وصلّيتُ من أجل (حوري) قليلاً

صعدتُ على سور خوفي

وباركتُ تابوتَهُ

ناثراً في ضفافِ المدى عشبةَ الجسدِ البائدَهْ

أطفأ القادمون من السَّهل

-عبر ضباب البحيرةِ- فانوسَهم

واستراحوا على ضفّة النّهر
ثمّ بدأنا طقوس الولادة والرّحلة الخالدَهْ
انتظرنا حلول الظّلامِ
ورحنا نرتّلُ للنّيل والرّيح والغيمِ
للقمر المستضيءِ بأحزانِهِ
للسّماء الّتي فتحَتْ سُورَها
للقبور الّتي أعلنَتْ جوعها
للصّدى والمسافة والجثّة العائدَهْ.

يوم الاحتفال بعيد الحصاد

انتهى موسمُ القطن قبل الأوانِ
وجفّت عناقيده البكرُ، ماتتْ تويجاته
والتّرابُ الطّريُّ تكلّسَ تحت جحيم السماء
انتهى موسمُ القمح قبلَ الحصادِ

وصارت ضفافُ الحقول
سياجًا لعوسجة القحْط
صارت دروب السَّواقي
دروبَ الأسى والبكاء العصيّ
فكلُّ الشّجيرات فاجأها موتُها الحجريُّ
وكلُّ العصافير ماتت على أسطح العطشِ
انكسرتْ في وجوه الصّبايَا النّجومُ
وكيس الغبار تدلّى كأجفان موتاي في غرفتي
وأنا في ردائي المقَدّس أنتظر الجائحَهْ
هذه الأرض لا تعرف الغدر . . . من خانَها؟
هذه الأرض لا تعرفُ الموت . . .
من ذوّبَ القحط في دمها؟
موغلاً في ضباب الينابيع والنّيلُ
في راحتيه الصّديدُ وفي خطو أقدامِه
عكرُ الطّين والقسوة الدّاميهْ

من تُراه أتانا على صهوة الإثمِ
ثمّ استباحَ معابدنا
أطفأ الجمرَ خلف كوى الصّلواتِ
وجاء بنورسة الرّعب عبر البحارِ
فماتوا بغير ابتهالي
وزفّوا بدون انتظار الخلودِ
إلى غابةِ العدم العاريَهْ
أيّها الخوفُ لا تطفئ النّارَ
أيّتها الريّحُ لا تكتمي صرختي
أيّها النّيلُ لا تمهلِ العائدينَ
من التّيه عبر الصّحارى إليكْ
أيّها الطّينُ لا تُخرجِ القَمْحَ للغرباءِ
ولا تشته الامتدادَ بظلّ الطّبيعةِ
أيّتها الأرضُ
كوني انتظاراً ليقظتكِ الآتيَهْ . . .

وداع

(١)

وداعًا طيورَ الدّماء التّي أرّقتني بهيمنة الشّعرِ
في زمن النّومِ تحت لحافِ الحروب الموشّى بشكل المجازرْ
وداعًا لمَقْدمِها -البرقِ حين يزيحُ قناعَ الوجودِ
ويكشف عمري، ويغري بصدري نسوراً
تطلُّ من الغيمِ في مقلتيها ضراوةُ قتلٍ
وفي مخلبيها سجونٌ سترمي بها فوق جسمي
إذا نبتت من يدي شجْرةٌ تملأُ الغيمَ
زهرَ ربيعٍ وغصنَ خناجرْ

وداعًا لأنسابها : نورسٌ ينتمي للجنون
يخطُّ على لوحة الصَّخر سِفْرَ احتمالٍ لعنقاءَ أخرى
ويقضي على شاطئ الكون دون وصايا
وداعًا لأعشاشها
حين أخْبِئُ فيها مؤونةَ حربٍ ضروسٍ
ستنشَبُ بيني وبين حضارةِ موتٍ تسيرُ على ظهر ثورٍ
وداعًا طيور الدّماءِ
أنا راحلٌ عنكِ حتَّى أجمْعَ في بؤرة النَّبضِ
شَمس الصَّهيل
وداعًا
سألقاكِ ثانيةً في الدَّفاترْ.

(٢)

وداعًا لسيّدةٍ تحتويني بقنديلها القصصيِّ
إذا جاء بردُ الشّتاء، وتُسكِنُني في دهاليز ماضٍ

بها تمرح الجنُّ فوق حصان الطّفولة
ثمّ تغطّي اندهاشي بقبضةِ جوزٍ وقبضة سُكَّرْ

وداعًا لسيّدة تنسجُ الصّوفَ في حُجْرة الوقتِ
والصّمتَ في ردْهة الانتظار
وتغفو إذا جاءها اللّيلُ فوق
زجاجِ الحنين المكسَّرْ

وداعًا لحاميتي من عقاب الشّقاوةِ
مُطعمتي بعد جوعٍ، ومُدْفئتي بعد بردٍ،
وواهبتي في دروب الرَّحيلِ
لفافةَ حبٍّ وزيتٍ وزعترْ

وداعًا لسيّدتي/ جدّتي المستريحةِ بالموتِ،

إنّي رأيتكِ في القبر لم تقرئيني ولم تفهميني
ولم تمنَحيني كما كنتِ قبلُ،
زبيبًا وحلْمًا ودفترْ

(٣)

وداعًا حقولَ البنفسج في رئتيَّ
وداعًا قطافَ السَّواسن من شفتيَّ
لكلّ شجيرة نسغ تدلّتْ
على أرض جسمي
وغطّت بأوراقها شهقاتي
أقول سلامًا
لكلّ خلايا الطُّفولة،
كلِّ الهتافات في ساحة الوعي ضدَّ انكساري
وللبجَع الدمويّ المغطّى
بريش التَّفاؤلِ،

للمطر المتساقط من غيمة اللّذّة المستريحةِ

فوق ضفافي

أقول سلامًا

أنا سوف أغلقُ:

نافذةَ الصَّدر بالتّبغِ

ساقيةَ الدَّم بالخمرِ

طاحونةَ القلب بالسَّرطانِ

وسوف أسيرُ بلا معطفي الجسديّ

فيا نسر روحي

ابتدأتُ الوجودَ المُغايرَ

فابدأ عقابَ الطَّبيعة

وانهشْ بمنقارك الآن بطني

ومزّق به كبدي

ربما أستطيعُ الوصول إلى النَّار،

في جبلٍ يختفي في غيوم العقابْ.

ترميم

اصعدي نحو قلبي على درج الماءِ

لا نار تحملني بعد أن

سمعَ الدّمُ ترتيلَةَ الموتِ

تهدرها اللّحظاتُ

فمن أيّ نهر ستحفُن كفكِ ما

يجعلُ الجسدَ المتشقّقَ ينضح بالخلجاتِ؟

وفي أيّ بئر

سيسقُط صوتكِ مؤتزراً بهبوب الرّياحين

حتى يحرك أجراسَهُ الماء تحتي؟

وفي أيّ بحرٍ سيغسل جسمُكِ أثمارَهُ

ملقيًا رغوة الخصب فوق مَساحات موتي؟

أنا منذ طوّقني الجمرُ حين صرخت

ومنذ تآكلت حين انكسرت

أحاولُ ترميم ذاتي

بصلصال سيّدة

تشتهيني إذا عمّدتْ روحَها في مياه الجسدْ

* * *

حين لا

حين لا يكتبُ شيئًا

تقفز الأسماكُ من كفّيه

تنسلّ من المَاء إلى ليل الأصابعْ

ثمّ ترتاح على شاطئه المهجُورِ

فالبحر المغطّى بفتات القهرِ

لا يذكر إلاّ اللّغةَ الخضراءَ

ينسى محنة البوح وينسى

طائرَ الرّوح على سطح الزّوابعْ

حين لا يكتب شيئًا

يُسكِنُ الأسماكَ في القلب

ولا يطعمُهَا قطًّا يناديه من الشّارعِ

يجتث المواءَ العذبَ

يرميه إلى البحر

فتستيقظ كلّ القطط الجَوعى وتحتلّ الشّوارعْ

* * *

قصائد قصيرة

رهق

قمران سارا، للحليب هتافُه

خيطان شدّا، للقميص نشيجُه

هذا الضّياء على قميصكِ وردةٌ

غصنُ الرّحيق يئنُّ من رهَقِ الصّبا

انتظار

الّتي مكثتْ في الحديقة تنتظر النّهرَ

تقعي وراء الشّجيرات لابسةً

قبّعاتِ الدّمى الجامدهْ

كان أنَّ يدي حطّمتَها وسارتْ على نزفها

لترتّب خلخلة النَّهر

يا حجرَ الانتظارِ النّوافذُ مغلقةٌ

والوقوف على القلب ذاكرةٌ للهواء القويْ

بكاء

وأنتِ توقدين شمعة البكاءْ

وأنت تهبطين سلّم المساءْ

أحسُ أنّ وعلةً مشبوبَة السَّاقينِ

أغمدتْ بداخلي قرونها

وأنّ مهرةً

ناريّةَ الفكَّينِ

أطلقَتْ صهيلها

وأنّ طفلةً

جميلةَ العينينِ

شقّتِ السّماءْ

وبعثرتْ تلَّ البنفسج المُضَاءْ

وأنتِ تحملين إبرة الحنانْ

خيّطتِ لي ثوبًا

فعرّيتُ الزّمانْ

ولادة

تولدين من الحجرَ المتشقّق قَطرة ماءٍ

تمدّ أصابعها في براعم صوتي

فتضْحك في أغنياتي عيونُ النّهارِ

تولدينَ من الشّوك زنبقةً

ترتقي نيزكًا صاعدًا في الهواءِ

وتسقطُ في ساحةِ الوعي فوق نثاري

تولدينَ

وأخرجُ ثانيةً في انتظاري

قُبلة

مربضٌ للرَّحيقِ الكثيف

وترتيلةٌ مقفلَهْ

يا أساورَها ياخواتمَها

كمْ رنينٍ خفيٍّ

سمعناهُ يُصعدُ من شفةٍ مثقلَهْ؟

كم عصافيرَ حينَ الْتحامِ الشّفاهِ

تحنّ على بعضها

خشيةَ الرّعشة القاتلَهْ؟

الموت

ورقٌ أخضر يصنعُ منه الجنديُّ
الواقفُ قرب حدود القتل عباءتَهُ
ورقٌ حيٌّ يحمي الجنديَّ من الأميّةِ في الأفعال
ويحمي العالمَ من خللِ الرّقص البشريْ

الحب

قنطرةٌ من ضوءٍ
يسندُها المهرُ النّافثُ عشبًا
يصعدها الألمُ الباحثُ عنَّا

الوطن

شيءٌ من ملحِ السَّمواتِ
وخبزٌ من قمح لا يشبعْ

زيتٌ نغسل فيه القلبَ

برغمِ يقينِ القلبِ بأنَّ الزّيتَ صديدٌ مُوجَعْ

وعل

ركضَ الوعلُ للغابةِ الحجريّةِ

أعْشَبَها ثمّ ماتْ

هَل على الوعل أنْ يستريحَ إذنْ؟

آه لا شيء، لا شيء يُخلَقُ بالكلماتْ

إضاءة

عشرون داليةً بكأسي

والحنينُ إلى الحُبابِ يجرُّ رأسي

فتّي قمرَ الدّموع على جراحي

كيْ تضيءَ الخمرُ نفْسي

الحبّ قال

الحبّ قال ولدتَ من شجرٍ

فقلتُ يداي ترتعدان من ريح اليبابِ

وبذرةُ الأشياء تُسْحَقُ في خطايْ

الحبّ قال ولدْتَ من ماءٍ

فقلتُ يداي تعتصران قلبي

وابتهالُ الغيم يورق في ندايْ

الحبّ قال ولدت من نورٍ

فقلت يداي فارغتان من شهبٍ .

وروحي نجمةٌ في شقِّ نايْ

الحبّ قال . . . . .

فقلتُ محمولٌ على نَفْسي سوايْ

بداية

قُبلة البرق بدايات الفصولِ

لا تقولي

نبضُها وجهي

وعيناها نخيلي

(أنا وحدي أزرعُ الصبَّار في رمل الطُّلولِ)

هاجس

ارتديني مع المعطف المنزليِّ

وغَطِّي ثقوبَ صباحِكِ بالضّحكة الرّائعهْ

اذكريني مع الهاجَس العائليِّ

لأنساكِ في هاجس الفاجعَهْ

حزن

حزنُكَ هذي اللّيلةَ من عشقٍ غابرْ

فامنَح تكوينكَ بُعْدًا ضوئيًّا لتسافرْ

من أنتَ لتهربَ من قلبكَ

من أنت لتمنعَ روحك عَنْ نزفٍ؟

احمل حلمك وتشرّدْ في عينيها

احمل ينبوعَكَ في كفّكَ

وارْوِ العطَشَ المتفحّمَ في أوراقكَ

وابْقَ الظّامئَ أنتْ

وابْقَ الشّاعرْ

* * *

هوامش عليها

(١)

أنتِ يا قوتةٌ

هذه الشمسُ مُطفأةٌ

وأنا كتلة قلقهْ.

فجّري لونك المترسّبَ

في داخل القلبِ

تتّسع الشّهوةُ الضيّقَهْ.

(٢)

أفديكِ بالقلق العظيمِ

بدمعتي الخضراءْ

سأفضّ ختْمَ هواجسي
وأسيرُ معصوب العيون
على شفاهكِ حينَ تنحطم الرّؤى العرجاءْ.

(٣)

ما الّذي كان يناديني إليها؟
وردةٌ ألقَتْ بساطَ العطر فوق الجسد النّائم
أم موجةُ نارٍ سقطتْ من شاطئ الصّدرِ
تمسّكتُ بهدبيها
فراحت يدُها تمسح عني
هالةَ الأسئلة المرتجفةْ.

(٤)

حين رفعتُ القمرَ المطمورَ بالأزهارِ
نحو وجهكِ، انتبهتُ للجنازة الّتي
على أصابعي.

ثلاثيّات

مات عصفورٌ صغير عشّهُ كان

بصدري حين ماتتْ كلماتي

جثّةُ العصفور ريشٌ ودم

والريشُ مسوداً تهادى في جهاتي

والدّم الخاثرُ في مائي وكأسي

فتعاليْ يا طيور الأغنياتِ . . .

* * *

دورةُ الغيث انتظارٌ ورحيلٌ

قرب ينبوع الغيوم الأخضرِ

دورة البحر اتّصالٌ وانفصالٌ

بين ثدي الرَّمل والماء الطَّري

دورةُ الشّعر قطاراتُ دماءٍ

وخُطاها خلف خَطوِ الشاعر . . .

* * *

جسدُ الأشجار مرآةُ الطَّريقْ

جسد الأشجار يمشي للحريقْ

جسد الأشجار يختار انتصارَ

الموتِ حتّى يمنحَ الموتَ البريقْ

أيّها الغصن بقلبي سوف لا تذبلُ

مثلَ الورد في حيٍّ عتيقْ . . .

* * *

قطاف الصبّار الشاهق

أنا حولكِ نهرٌ تجيشُ بألوانه

الفقاعاتُ زاهيةً فوق جلدكِ

والسّمكُ المتواثبُ بين ضلوعي

يمدّ إليكِ نشيجَ المياه، لترتفعي كوكباً أخضرا.

أنا فوقكِ غيمٌ رحيب الخطى

يستفزُّ انهياراتِ جسمٍ يدورُ على جوعهِ

وائتلاق البروق عليه، تصادمه بالحواسِ

تساقطه، قهوةً في الحديقةِ

شمسٌ تسير على صوتها

هوّةٌ لالتقاء الأصابعِ

جمرٌ يفحّ، وسوسنةٌ ترتدي عطرَها خنجرا.

أنا فيكِ شبابيكُ مُغْلَقَةٌ بالبنفسجِ

هذي طيورُ الدّماء، على الغَبَش الجسديْ تُراوحُ

ماؤك إسوارةٌ، في سراديبَ لامعةٍ

جسدي هابطٌ في البريقِ

جسدي صاعدٌ في البريقِ

وجسمُكِ في معطف اللّحظات عُرى.

إنّ روحي تئنّ وكفي تئنُّ

وزغْب يديك يئنُّ

وأفلاكنا تتباعدُ

أجراسُنا تتصادمُ

جدراننُا تتساقطُ

أوراقُنا تتجاذَبُ

أسوارنا تتسامَقُ

أيّةُ ريح ستحملنا شجراً؟

أيّ رهطٍ من الشَّهَقات سيتبَعُنا مطرا؟ . . .

* * *

ولادة

كان صمتي دودةً تحت جدار المقبرهْ
عندما جاء إليها سارقُ الأموات ليلاً
هربتْ واختبأت في شجَرهْ.

كان حزني قطّةً حمراء تلهو
عندما جاؤوا إليها بالطعامْ
رفضتهْ ثمّ صارت قبَّرهْ.

كان شمساً عُلّقَتْ فوق الجدارْ

كان شَعراً وجبيناً للنَّهارْ

عندما جاؤوا إليه فجأةً

وجدوا بالقرب منه شجَرَهْ

ركضَتْ مثل غيومٍ

ثمَّ صارت قبَّرَهْ

أطلقوا النّارَ عليها كلُّهُمْ

فهوتْ للبحر فجراً

ثمّ صارتْ حنجرَهْ. . .

* * *

حوارات

(١)

- هل رأيتَ المدينةَ شبّاكُها من زجاجْ؟

* كنتُ أُسأل كفّي عن حجرٍ

فرأيت القصيدة تَجْمع أحجارها .

(٢)

* منذ الظّهيرة، وهْي تصرخ في دمي

منذ الظّهيرة، وهْي تركض في شراييني

وتُنْشِبُ مخلباً في القلبِ

تقتلني، تقبّلني، وتبعثني وتصرخ من جديدٍ.

- من تكونْ؟

* تلك الّتي تجثو على أعشاب روحي

- أنْتَ تهربُ من سؤالي

* لا ولكنّي رأيت الحلمَ يوصلني إليها

- من تكونْ؟

* تلك الّتي فاجأتُها حين انحنيتُ أمام مطرقة الحياةِ

ونِمْتُ في وجع التّرقّبِ

تلك أمّي حين فاجأها خروجي عن نواميس المدينةِ:

التّزاوجِ والتّكاثرِ والمعاناةِ البليدةِ

تلك أمّي حين أغضبَها اشتعالي بالقصيدةْ.

(٣)

- ما زلتَ منذُ الأمس ترسمُ قنبلَهْ

* لم ينطفئْ وَهج الولادة في يدي

- ما زلتَ منذ الفجر ترسمُ ثمَّ تمحو، ثمَّ ترسم شكلَها

* اللّونُ فاجأني، تمرّدَ،

صار لا يرضى التَّماسُكَ في فضاء القتلِ

صار دمًا تجمَّعَ فوق فرشاتي

وكادَ يؤلّب اللّوحات ضدّي

انتضى سيفَ النّبوءةِ وادّعى رؤيا الزَّمان المقبلَهْ

انظرْ فهذي اللّوحةُ الحمراءُ نامت في غلالات البرودةِ

والخيولُ الخارجاتُ من النّزيف

تراجعتْ نحو الجراح المقْفَلَهْ

- والآن ماذا تفعلُ؟

الألوان لن ترضى بغير مساحةٍ خضراءَ

خاليةٍ من الجثث القديمةِ والقنابلِ

* سوف ترضى

حين أرسم قربَها

أثداءَ أمّي السّنبلهْ

(٤)

موغلٌ من مطلعِ الشّمسِ بغابات الصّنوبَرْ

دائريٌّ أفقُ الأشياءِ

والصّمتُ انتباهٌ مطلقُ الأبعاد أخضرْ

حاملٌ مملكةَ الأرض على أكتافهِ، ماءٌ وخبزٌ وسهامٌ

- أين تمضي وعيونُ امرأةٍ يسكنُها الجوع

إلى قُبلتك الأولى

تُنادي الشّجرَ المورقَ من بذركَ

والنّهرَ الّذي أقبلَ من نسغكَ؟

* أمضي حيث لا أسمعُ إلا الوَحشَ

يدعُوني إلى بريّة الكونِ

وأدعوه إلى خلوة يأسي

– والأبُ الخارجُ مِنْ كون الإلهْ

الأبْ السيّدُ، والأمرُ الترّابيُّ أما سلّمَكَ الفأسَ المقدَّسْ؟

* أنتَ لا تدرك شيئاً

هُوَ في ليلة عرسي

أطلقَ الثّورَ من السّجن السّماويّ وناداني لقتلهِْ.

* * *

البلطة

١- الشّجرة

فيما أرى أنَّ الحديقةَ أقفرَتْ
ووقفتِ تنتَظرينَ
عشبُكِ سامقٌ
وزهورُكِ الخضراءُ تعقدُ في الخلايا
نارَ شمس موصدَهْ
في جذْعك الدّهريّ نفثةُ طلقةٍ
طافت بتاريخ الثّلوج
فلم ترَ الفيضان إلاّ في وقوفِكِ مفردَهْ

من ذا يردُّ تفتُّحَ الأعيادِ
حين تسلّمين دفاترَ الصّحراءِ للنّهر
المفضَّضِ بالخصوبةِ
يركضُ الأطفالُ والعشّاقُ والحرّاسُ
ثمّة بَلْطةٌ . . .
أنّاتُ ذبحكِ من كُوى الأشياء ولّتْ صاعدَهْ .

٢- العرّاف

فيما أرى/ فيما رأيتَ
تعود أيّام الغيوم إلى الحجارةِ
والأسابيعُ الطَّويلةُ للبحار إلى الحجارةِ
أنتَ في قفص الحجارة تقرأ الأيّامَ
في شجرٍ يريد أنوثةَ المرآة إذْ
تتكشّفُ الأعيادُ فيها

في حصانٍ جزّ لَتَهُ ليسندُ صوته

افقأ عيونكَ جيّدًا

لترى الّذي سمّاكَ ثوراً

كي يؤسّس عشبهُ

لترى الّذي أطلقتَ كشفكَ نحوه

فارتدّ من صمت الحجارة بلطةً

أكلت نبوءاتِ الحجرْ

فيما أرى/ فيما رأيتَ

تمدّ شَهوتَها الحديقةُ للشّجَرْ

ويكونُ طفلٌ آخرٌ فيما يجيءُ من المطرْ

لا بدّ من جسدٍ تسلّمه الأصابعَ

كي يسلّمكَ النّظرْ.

٣- الحطّاب

سأقولُ إنّكَ عاشقٌ لأكون ظلّكَ
خـائفٌ لأكـونَ سـدّكَ
مـفـردٌ لأكـونَ غـيـرك
جدولٌ يكفي إذا اشتعل الهواءُ
وطلقـةٌ تكفي إذا حنّتْ دمـاءٌ
بلطةٌ تكفي . . . انْتَبِهْ
في لبّ وعيكَ دودةٌ
في حضن أمّكَ صخرةٌ
قاومْ بما ملكتْ يداكَ من الطّفولةِ والفؤوسْ .

* * *

مهرجان شعري

(١)

شاهقٌ تحت آباطه شجرُ

دارَ حول القصائدِ

جمّعَها تحت سقف الغناءِ

بما شاءت الذكَرُ

هل رأتْهُ المناديلُ؟

هل سمعتْهُ المواويلُ يُنكسرُ؟

(٢)

شاعَ فيه القرنفلُ
لَمْلَمَهُ في هواء القصيدةِ
توّجَهُ بنزيف الحديقة والأسئلَهْ
هل رأتْهُ المدينة مشتعلاً؟
بل رأته العناصرُ يمسح عنها الغبارَ
ويُشعل من فكرهِ شمسها الذّابلَهْ

(٣)

استقام على دمه المنبرُ ... وتفتّتَ من صوته شجَرُ
مورقًا كنسيج الزّغاريد ... إصبعُهُ حين يجرحه الوتَرُ
عابقًا كرذاذ المواقد ... إذ تتساقط من قلبه الصّوَرُ
مستريحًا من الموت في لغةٍ ... أكلتها الهتافاتُ ينشطرُ
جرحُهُ طلقةٌ لهبوب المساءِ ... العقيمِ وأشلاؤُه مَعْبَرُ
كم رأيناه يحمل أجراسَهُ ... ضاغطٌ فوق خطوته المطرُ

كم سمعناه يفرك تنهيدةً عالقٌ في مساماته الشَّررُ
آن أن يتـــرجّلَ؟ بل آن أنْ يترجّل منهزمًا شاعرٌ مُظْهرُ

(٤)

طحنتْهُ القصيدةُ، فكّاهُ نافذتان على جثّةٍ تالفَهْ
اعتلى صوتَهُ فتهاوى الصّليبُ الّذي حمل اللّغة الرّاجفَهْ
همُّه أن يضمّدَ ذيلَ الخيول ولا يركبَ الصّهوةَ النّازفهْ
كم تشظّى وفاوض عنّا الدّماءَ وكم هزّ أشعاره الواقفهْ
كم تكاثر لونًا ولونًا وألوانُه بهرجاتُ الدُّمى الخائفهْ
كم تسلّقَ أكتاف مَوءُودةٍ واستطالَ مع اللّغة الوارفهْ
آه يا كعبةَ الشّعر يا نارُ يا زيتُ. ثورتُنا لغةٌ كاشفهْ
فكلُوا أيُّها الشّعراءُ أصابعَكُمْ واغرسوا مخلبَ المعرفَهْ

قصيدة تجريبية

فعلنْ ففعلنْ تبدأُ الكلماتُ بالتجوال آخذةً بأعناق
المواضيع البليدة. آخرُ الأنباء عن غزو البلادِ.
وآخر الأنباءِ عن همّ التَّغرّب. أولُ الأحزان. سيدةُ
الرماد. قراءةٌ مجنونةٌ في دفتر الحزن العتيق
قصائدٌ لا تنتهي. تشكيلةٌ لا تنتهي. دمٌ وحرب طعنةٌ
في الظَّهر. سكّينُ الحداثة. رغبةُ الشعراء في
الفتح الجليل. وقلعةُ اللغة العصيّة تأكلُ الأشجار
هذا مشهدٌ تتآكلُ الأحجار فيه منذ فصل سقوطِ
(ميدوزا) على الصَّفحات. منذ دخول (أحمد) قاعةَ

الشَّرق العجيبةَ حاملاً أرضًا خرابًا لا تمدّ ذراعها

تحت انهيارات المباخر والأضاحي. منذُ أشعار (الدمشقيّ)

الّذي خصَّ النّساءَ بسائل الشّهوات. منذُ تكاثُرِ الشَّيخ المعمّم في احتفالات الملوك. ومنذُ تركيب الهواتفِ في حجيرات الشَّفَقْ.

(الشاعر افتضحَتْ قصيدتُه تمامًا) صار في وسع القصيدة أن تمدَّ لسانها. كلّ الّذين تقدَّموا لحضور أعراس القصيدةِ خبّأوا جَوْزَ الخديعةِ في جرابات الحروف وحمّلوا سفُنَ الورَقْ.

الشّاعر انكسرت قداستُه تمامًا. صار في وسع القصيدة أن تزور عيادة الأسنان، أن تجري وراء الباص، أن تشكو ازدحامَ الفرن والإمساكَ والقولونَ، صار حذاؤُها سنداً

لتحقيق الصَّحافة حولَ مشكلة الثّقافة . صار سكّيرُ
المقاهي شاعراً . صار المهندسُ والمدرّسُ صاحبُ (الدّال)
العجيبة شاعراً .
يا معشر الشّعراء كم من شاعرٍ سرق الدّجاجَ
وباض أسبوعًا من الدّيدان؟
كم شهراً من الأنهار تحتاجُ القصيدةُ كي تعود
بهيّةُ العينين؟ كم سنةً من الآلام يدفعها
صراخ الأدّعياء إلى هواء الأنقياءْ

أنا طفل الجمال رأيتِ في وجهي القديم سلالمَ اللُّغة
الفتية، ذروة الروح الّتي تعلو وتعلو في أناشيد
الرّعاة، وفي أهازيج الصّبايا، في امتزاج الطين بالقمح
المبارك، في هبوب الشمس فوق مدارج الزيتون، في خبز
الصباح وفي مسرّات المساءْ .

أنا طفل الجمال رأيتُ في وجهي الجديدِ بُثُورَ أغنيةٍ
ينزُّ صديدُها عبرَ انفعالات الكتابة :
في عيوني نجمةٌ شوهاءُ من أفقٍ غريبٍ لا تثيرُ ولا تثارُ،
وفي شفاهي فحمةٌ سوداءُ من شجرٍ غريبٍ
لا تضيءُ ولا تضاءْ.
أنا طفلُ المدينة أطبقَتْ فوقي المصانعُ والمنازلُ
والقصيدةُ في المجلَّة والجريدة تفقأ العينَ الوحيدةَ
للجنون بخنجرِ التَّشكيل والتَّعزيب والعشق المزيَّفِ
والصّلاة على عمود الشّعر والنَّثرِ والمعلَّق في
أراجيح الهواءْ. . .
أحنُّ إلى غناءٍ صادق من ناي ساهرْ
أحنّ إلى بكاءٍ تمسَحُ الدَّمعاتُ فيه سوادَ آلاف الدَّفاترْ
أحنّ إلى نشيدٍ دافق الأمطار مرصوصِ
الجوانبِ أخضرِ الأفكارِ
مسكونِ الزَّوايا بالظّلال وفيه من كونِ الشّموس لهاثُ شاعرْ

الفهرس

الصفحة

أيتها السنة الجديدة، أيها الاحتفال الملكي ٣
مشاهد من قيامة الروح ١٢
من مُشاهدات القتيل - ح - ٢٥
عنها سيرة ذاتية ٣٥
مقاطع من كتاب الموتى ٤٢
وداع ٤٩
ترميم ٥٤
حين لا ٥٦
قصائد قصيرة ٥٨
هوامش عليها ٦٧
ثلاثيات ٦٩
قطاف الصبَّار الشاهق ٧١

الصفحة

ولادة ٧٤
حوارات ٧٦
البلطة ٨١
مهرجان شعري ٨٥
قصيدة تجريبية ٨٨

الطبعة الأولى / ٢٠٠٢
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

سعر النسخة داخل القطر ٧٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل ١٥٠ ل.س